ISSN: 3079-062X
مجلة علمية محكمة نصف سنوية تصدر عن الجمعية الليبية للعلوم التربوية والإنسانية
https://alasala.alandalus-libya.org.ly/ojs/index.php/aj/index

التقديم والتأخير في الجملة الاسمية المنسوخة في ديوان إبراهيم طوقان

د. فتحي البشير الرجيبي*
قسم اللغة العربية ، كلية التربية أبو عيسى ، جامعة الزاوية، ليبيا
Email: f.alrujeebi@zu.edu.ly
تاريخ الارسال 2026/4/1م تاريخ القبول 2026/5/3م

"Fronting and Postponement in the Abrogated Nominal Sentence in the Diwan of Ibrahim Tuqan

D. FATHI ALBASHEER ALRUJEEBI
Email: f.alrujeebi@zu.edu.ly

Abstract:
This research presents a descriptive and analytical study of the types of "fronting and postponement" in the nominal sentences within the Diwan of . The phenomenon of fronting and postponement in nominal sentences is considered one of the most prominent linguistic features that indicate the flexibility of the language and its system. This phenomenon varies in its meaning depending on the context and the needs of the situation. It also takes on a distinctive character and special feature, as it reflects the emotional state of the poet. The use of fronting and postponement is seen as a response to the emotional state that stirs deeply within the poet, highlighting the psychological condition they experience. It seems that the motivation behind this fronting is an understanding of the poet's inner feelings and emotions that shape their sensations. This study aims to investigate a grammatical and linguistic phenomenon: fronting and postponement, which is considered one of the most important linguistic and artistic features that demonstrate the flexibility of language and its system.

الملخـــــــــص:
جاء هذا البحث في دراسة وصفية تحليلية لأنواع التقديم والتأخير في الجملة الأسمية المنسوخة في ديوان إبراهيم طوقان، وتعد ظاهرة التقديم والتأخير في الجملة الاسمية المنسوخة عند إبراهيم طوقان من أبرز الظواهر اللغوية التي تدل على مرونة اللغة ونظامها، حيث تتنوع هذه الظاهرة وتتغير دلالتها تبعاً لتغيير السياق وحاجة

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC

المقام، كما أنها أخذت طابعاً مميّزاً وسمتاً خاصاً؛ لأنها جاءت تلبية للحالة الشعورية التي تضطرم في أعماق الشاعر، فأبرزت الحالة النفسية التي يعاني منها، وكان الداعي إلى هذا التقديم هو ما بداخل الشاعر من أحاسيس ومشاعر تختلج في نفسه وتشكّل أحاسيسه، ويهدف هذ البحث إلى استجلاء ظاهرة نحوية ولغوية، هي ظاهرة التقديم والتأخير، وهي من أبرز الظواهر اللغوية والفنية التي تدل على مرونة اللغة ومرونة نظامها.

المقدّمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على أفصح العرب وأشرف المرسلين سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين.

أمّا بعد:

فإنّ التقديم والتأخير من الظواهر اللغوية المفيدة في جذب القارئ، وتنشيط ذهنه، وجعله يمعن النظر في النصوص ،ويسبر أغوارها، فيكشف عن دلالات هذا التقديم وأغراضه، ويعدّ الشعر العربي المصدر الثالث بعد القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، الذي يستنبط منه العربي القواعد النحوية واللغوية.

تهدف هذه الدراسة إلى استجلاب ظاهرة نحوية ولغوية، هي ظاهرة التقديم والتأخير في ديوان إبراهيم طوقان، حيث كشفت هذه الدراسة عن قدرة الشاعر على التكيف الدلالي وسبك نصوصه من خلال صور التقديم المتنوعة التي وردت في أبياته، حيث إن موضوع التقديم والتأخير في الجملة الاسمية المنسوخة له أهمية كبرى في كتب النحو العربي، ومعرفة طرائق توظيف الشاعر لأنماط التقديم في توجيه دلالة النصوص، والكشف عن توظيف ظاهرة التقديم لما حقّه التأخير لتحقيق مراميه البلاغية، وكذلك دراسة الأغراض الدلالية لهذه الظاهرة ضمن سياقها الخاص، ويعتمد البحث المنهج الوصفي القائم على الملاحظة والتأمل ودراسة مواضع التقديم والتأخير وتحليلها نحوياً وما يترتب على ذلك دلالياً.

واقتضت خطة البحث أن يشتمل على تمهيد ومبحثين ، أمّا التمهيد فكان بتوطئة عن مفهوم التقديم والتأخير عند النحاة ، وتعريف النواسخ لغة واصطلاحاً ، وأمّا المبحثان فقد تضمن كل منهما مطالب ، وذلك كما يأتي:

المبحث الأول: بعنوان التقديم والتأخير في باب (كان وأخواتها). والمطلب الأول: تأخير الخبر عن الناسخ وأسمه. والمطلب الثاني: تقديم الخبر عن الاسم. والمبحث الثاني: التقديم والتأخير في باب (إنّ وأخواتها). والمطلب الأول: وجوب تأخير خبر

(إنّ) عن اسمها. والمطلب الثاني: جواز تقديم خبرها عن اسمها. والمطلب الثالث: وجوب تقديم خبرها عن اسمها. ويلي هذين المبحثين خاتمة ، وفيها سجلت أهم النتائج التي توصل إليها البحث .

التمهيـــــد:

إنّ ظاهـــرة التقديم والتأخير ظاهرة نحوية تناولها النحويون القدماء، فكان سيبويه أوّل من أعتنى بالتقديم والتأخير، وأشار إلى دلالات بلاغية كتقديم الفاعل والمفعول للعناية والاهتمام (سيبويه، 2004، 128/2) ودلالات تتعلق بالصنعة الشعرية كالضرورة الشعرية التي قد يؤدّي فيها التقديم والتأخير إلى قبح الكلام أحياناً.

وتعدّ هذه الظاهرة من أهم مظاهر العدول عن نظام بناء الجملة، أو التركيب اللغوي؛ لأنه من أهم المطالب الاستعمالية للغة، ولذا لم يخص النحويون التقديم والتأخير بحديث مستقل، أو أبواب خاصة في النحو العربي، فحين نحاول البحث عن نظام الجملة في كتب القدماء من اللغويين نراهم يشيرون إليه في ثنايا كتبهم إشارات سريعة تكاد تنتظم معظم أبواب النحو (راضي، 1980، ص218)، ولكن نجد أنّ (ابن جني) تفرّد في مناقشته للتقديم والتأخير، فقد خصص له باباً في كتابه الخصائص أسماه (باب في شجاعة العربية) رصد فيها أهم مظاهر تلك الشجاعة ومنها، (التقديم والتأخير) الذي عقد له فصلاً خاصاً، تحدّث فيه عن صور التقديم والتأخير في أبواب النحو المختلفة ، منها المبتدأ والخبر، والفاعل والمفعول، والحال، (ابن جنّي الخصائص، من دون، 382/2).

مفهوم النواســـخ لغة واصطلاحاً :

النواسـخ لغةً: جمع ناسخ، والنسخ يعني إبطال الشيء، وإقامة آخر مكانه، أو المزيل للشيء مأخوذ من نسخت الشمس الظل أي : أزالته (ابن منظور، 1990، 176/6).

في الاصطلاح: المزيل لحكم المبتدأ والخبر المثبت لهما حكماً جديداً(متري وآخرون، 462).

أنواع النواســـــخ:

1- **الأفعـــال:** كان وأخواتها، ظنّ وأخواتها، فـ (كان) وأخواتها أفعال تدخل على الجملة الاسمية فترفع المبتدأ ويسمى اسمها، وتنصب الخبر ويسمى خبرها، وهي تنصب الخبر باتفاق النحاة (شرح الأشموني، 1455 هـ ، 304/1)، وهذا مذهب البصريين، وذهب جمهور الكوفيين إلى أنّ (كان) وأخواتها لا تعمل في الاسم، لأنّه كان مرفوعاً به قبل دخولها عليه، وخالفهم الفرّاء، فذهب إلى أنّه عمل فيه الرفع تشبيهاً بالفاعل (الأزهري، 2000م ، 184/1)، وتســـمى أفعالاً ناسخة لأنها تنسخ حكم الخبر فتجعله منصوباً بعد أن كان مرفوعاً، كما تسمى – أيضاً- أفعالاً ناقصة لأنها تدل على معنى مجرد

ناقص لا يفيد إسناده إلى مرفوعة الفائدة المطلوبة من الجملة، إلّا بمجيء الاسم المنصوب بخلاف الأفعال التامة التي يتمم المعنى الأساسي فيها مرفوعها الفاعل، أو نائب الفاعل (ابن مالك، 1990 م، 338/1). ، وقيل سميت ناقصة ؛ لأن الفعل يدل على حدث وزمن مثل (ضرب) فإنّه يدل على (ضرباً) أي : حدث وزمن الماضي، و (كان) إنما تدل على زمن فقط ،ولا تدل على حدث، وسميت - أيضاً - أفعالا ، أي: هي أفعال لفظية لا حقيقيـــة ؛لأنّها لم تكن أفعالاً إلّا من جهة اللفظ والتصرف (ابن يعيش، _، 189/7)، وأخوات كان كثيرة منهم من اختصرها ومنهم من توسع فيها، ولم يذكر سيبويه منها سوى (كان، صار، مادام، ليس) (سيبويه، 2004 م، 45/1).

أمّا الحـــروف الناسخة فهي (إنّ، أنّ، لكنَّ، كأنَّ، ليت، لعل) وهي حروف تدخل على الجملة الاسمية فتنصب المبتدأ ويسمى اسمها وترفع الخبر ويسمى خبرها ، هذا على المذهب البصري (سيبويه، 2004 م، 131/2)، وتعرف بالحروف المشبهة بالفعل ؛ لأنها تعمل فيما بعدها مثل عمل الفعل فيما بعده قال ابن الأنباري: "عملت هذه الحروف لأنها أشبهت الفعل من خمسة أوجه أنّها مبنية على الفتح كما أنّ الفعل مبني على الفتح، وأنّها على ثلاثة أحرف كما أنّ الفعل على ثلاثة أحرف، وأنّها تلزم الأسماء كما أنّ الفعل يلزم الأسماء، وأنّها تدخل عليها نون الوقاية كما تدخل على الفعل وأنّ فيها معاني الفعل، فلما أشبهت هذه الحروف الفعل من هذه الأوجه الخمسة وجب أن تعمل عمله" (الأنباري، 1957م، 148).

المبحث الأوّل ـ التقديم والتأخير بين معمولي كان وأخواتها:

المطلب الأول ــ تأخـــــير الخبر عن الناسخ واسمه:

يجب الترتيب بين الناسخ واسمه، فلا يجوز تقديم الاسم على الناسخ ؛ لأن الفعل الناسخ هو العامل، فلا يقدّم الاسم مطلقاً (ابن عصفور، 1990م، 937/2)، على الفعل الناسخ لأنّه لو تقدم على الفعل الناسخ لصار حينئذٍ مبتدأ، وكان اسم الناسخ مضمراً عائداً على المبتدأ، وتكون الجملة المركّبة من الفعل الناسخ واسمه وخبره في موضع خبر للمبتدأ، أمّا الخبر فهو على النحو الآتي:

الخبر المفرد: يجوز تقديم الخبر وتأخيره إذا كان الخبر مفرداً، إذ لا يوجد مانع في ذلك ، ويمثّله قول إبراهيم طوقان في ديوانه:

كَانَ أَبُوهَا رَاعِيًا ظَالِمًا لِلذِّيبِ لَا لِلْحُبِّ رَبَّاهَا

(طوقان، 2017م، ص62)

يشير هذا البيت إلى أنّ أبا البنت كان راعياً للغنم أو الإبل، ولكنّه لم يحميها من الحيوانات المفترسة وهذا يدل على أنّه كان أكثر اهتماماً بهذه الحيوانات الغريبة، وحيث يصف الشاعر الراعي بأنه ظالم ؛ لأنه لم يكن يحمي من تحت رعايته، بل كان يفضِّل الغريب عليهم، ونلاحظ قوله: (كان أبوها راعياً) جملة اسمية منسوخة مكوّنة من (كان) فعل ماض ناسخ ناقص دخل على الجملة الاسمية، فرفع المبتدأ ونصب الخبر و(أبوها) اسم كان مرفوع بالواو لأنه من الأسماء الخمسة

وهو مضاف والهاء مضاف إليه ، وقد جاء معرَّفاً بالإضافة و (راعياً) خبر كان منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، وقد جاء نكرة، يقول سيبويه: "وأعلم أنّه إذا وقع في هذا الباب نكرة ومعرفة فالذي تشغل به كان المعرفة، لأنّه حد الكلام لأنهما شيء واحدٌ، وليس بمنزلة قولك: ضرب رجل زيداً ؛ لأنّهما شيئان مختلفان، وهما في كان بمنزلتهما في الابتداء إذا قلت : عبد الله منطلق، تبتدئ بالأعرف ثم تذكر الخبر، وذلك قولك : كان زيدٌ حليماً، وكان حليماً زيدٌ، لا عليك أقدّمت أم أخّرت، إلّا أنّه على ما وصفت لك في قولك: ضرب زيداً عبد الله، فإذا قلت: كان زيدٌ ، فقد ابتدأت بما هو معروف عنده مثله عندك فإنّما ينتظر الخبر، فإذا قلت: حليماً فقد أعلمته مثل ما علمت، فإذا قلت كان حليماً ، فإنّما يتنظر أن تعرّفه صاحب الصفة، فهو مبدوء به في الفعل وإن كان مؤخراً في اللفظ، فإن قلت: كان حليمٌ أو رجلٌ ، فقد بدأت بنكرة، ولا يستقيم أن تخبر المخاطب عن المذكور، وليس هذا بالذي ينزل به المخاطب منزلتك في المعرفة، فكرهوا أنْ يقربوا باب ليس" (الكتاب، 2004، 47/1)، يبين سيبويه أن اسم (كان) لابد أن يكون معرفة وينجم عن ذلك تقدمه لكي يؤسس خبره عليه، إذ لا يصلح أنْ يبنى على نكرة وفي موضع آخر، يقول إبراهيم طوقان:

وَلَوْ أَنَّ الْمَقَامَ طَالَ بِبَيْرُو تَ لَكَانَ الْمَصِيرُ أَسْوَأَ حَالاً (طوقان، 2017م، ص16)

حيث ورد هذا البيت في قصيدة (ذكرى حمية أهل الشام).

يصوِّر الشاعر حاله إذا عاش ببيروت لكانت عيشته صعبة بسبب الحروب والفتن في منطقة الشام، وكان مصيره أسوأ، ولهذا فضّل الشاعر البعد عن تلك الأماكن، وموضع الشاهد في البيت (لكان المصير أسوأ حالاً) كان فعل ماض ناسخ ،وهي أم الباب ترفع اسمه وتنصب الخبر و(المصير) اسم كان مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة و (أسوأ) خبر كان منصوباً وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره،

ونلاحظ في البيتين السابقين تقدم الاسم وتأخر الخبر وهو الوضع الأصلي والطبيعي؛ لأنّ الاسم معرفة والخبر مفرداً، ولا يوجد مانع في تقديم الخبر أو تأخيره (ابن يعيش، 2000 م، 114/7).

أمّا إذا كان جملة، فقد اختلف النحاة في وجوب تأخير الخبر إذا كان جملة، فمنهم من قال يجب مطلقاً ولا يجوز تقديمه ولا توسيطه سواءً أكانت الجملة اسمية أم فعلية ومستند المنع في ذلك عدم سماعه وذكر ابن السرّاج أنّه يجوز التقديم والتوسط وإن لم يسمع، وصححه ابن مالك ؛لأنه وإن لم يسمع مع كان فقد سُمع مع الابتداء (السيوطي، 2001 م، 431/1)، ومنهم من منع ذلك في الجملة الفعلية الرافعة لضمير الاسم والجواز في غيرها ، وصحَّحه ابن عصفور (ابن عصفور، 1990، 960/1)، ومما تقدم يكون للجملة الفعلية الواقعة خبراً للناسخ حكم واحد وهو التأخير عن الناسخ واسمه إمّا وجوباً، وإمّا استحساناً، ويمثّلها من الديوان قوله:

يَوْمَ كَانَتْ قُلُوبُنَا تَتَلَظّْى وَالْعِدَى تُوسِعُ الْبِلَادَ احْتِمَالاً

(طوقان، م 2017، ص42)

يكشف الشاعر في هذا البيت عن حالة الحزن والألم التي كانت تمرُّ بها الشام بسبب اعتداء الأعداء عليها والتوسع في احتلال الأرض، ما يزيد من حزن الناس ، وقد كشف الشاعر عن حزنه بألفاظ تدل على حالته النفسية الصعبة، والشاهد في هذا البيت قوله : (كانت قلوبنا تتلظى)، كان فعل ماض ناقص ناسخ وقلوبنا اسمها وتتلظّى خبرها حيث جاء جملة فعلية وتأخر الخبر عن اسم الفعل الناسخ وهذا يتفق مع ما ذهب إليه النحاة. وقوله في موضع آخر:

يا مُنيتي عُودي نُعد ليلةً مازال قلبي يتمنّاها

(طوقان، 2017، ص77)

ورد هذا البيت في قصيدة (وحي الرسالة) الشاعر هنا يكشف عن شوقه وحنينه وهي عودة إلى حنين الأيام الجميلة التي مازال يرغب فيها ، والشاهد في هذا البيت جاء في الشطر الثاني منه (مازال قلبي يتمناها) مازال الفعل الناسخ وهو يدل على الاستمرار و (قلبي) اسمه ويتمناها خبر حيث جاء الخبر جملة فعلية.

وأمّا إذا كان الخبر شبه جملة، فيجوز تقدّمُ الخبر شبه الجملة أو تأخيره عن اسم

الفعل الناسخ ما لم يمنع مانع من ذلك، ويمثِّله من ديوانه قوله:

أضحى التشاؤم في حديثك بالغريزة والسليقة

(طوقان، 2017، ص62)

يصف الشاعر هنا الوضع السيء في منطقة الشام حتى أضحى كل واحد متشائما ، وهذا يظهر بوضوح في حديثه حتى صارت سجية في كلامه ، والشاهد في هذا البيت في الشطر الأول منه (أضحى التشاؤم في حديثك) أضحى من أخوات كان ترفع المبتدأ وتنصب الخبر، وهي تفيد الوقت أو الزمن ، والتشاؤم اسم أضحى مرفوع وعلامة رفعه الضمة ،وفي حديثك شبه الجملة خبرها ، وقد تأخر الخبر عن الاسم ؛ لأن الخبر شبه جملة

المطلب الثاني ـ تقديم الخبر:

قد يأتي خبر كان أو إحدى أخواتها شبه جملة ، وفي هذه الحالة يجوز أنْ يتقدم الخبر عن الاسم (ابن يعيش، 2000، 114/7)، إذا لم يوجد مانع من موانع تقديمه ، كأن يكون الخبر واقعا فيه الحصر بـ (إلاّ) و أو تقديراً بـ (إنّما)، أو كان يترتب على التقديم لبس لا يمكن معه تمييز أحدهما عن الآخر (عباس حسن، 1974، 570/2)، أما إذا لم يوجد مانع فيجوز تقديم الخبر، ويمثِّله من الديوان قوله:

كان من فزعها الظلا م، ومن وجهها القمر

(طوقان، 2017، ص65)

يصور الشاعر هنا شدة الخوف والفزع والألم الذي يعانيه صديقه عمر فروخ ، حيث كان يشكو ألماً في عينيه.

والشاهد قوله: (كان من فزعها الظلام) فـ (كان) فعل ماض ناسخ ، ومن فزعها خبر مقدم ، والظلام مبتدأ مؤخر ؛ لأن الخبر شبه جملة والمشهور جواز تقدّمه عند النحاة. ويمثّله قوله أيضا:

إذا كان في الدنيا الهوى مثلما أرى فأي عجيب في هوى العمي والصم

(طوقان، 2017، ص158)

الشاعر يذكر أنَّ الحب هو كما يراه ، وهو شيء طبيعي، فلا عجب إذا كان المحب أعمى أو أصم، لأن الحب يجعل الناس يفعلون أشياء غريبة ، والبيت يعكس فكرة أنَّ الحب يمكن أنْ يجعل الناس يفعلون أشياء غير منطقية ، والشاهد فيه في الشطر الأول (كان في الدنيا الهوى) حيث تقدّم الخبر وهو شبه جملة مركب من الجار والمجرور (في الدنيا) على اسم الناسخ (الهوى) وهو معرفة ، وهذا جائز ، لأن الخبر شبه جملة، والاسم معرفة وقد يكون تقديم الخبر واجبا إذا كان الاسم نكرة قياساً على خبر المبتدأ (السيوطي،2001 ، 430/1).

ويمثِّل هذا من الديوان :

كلا ولا يقصيه يوما ولو كان من الأسقام أعداها

(طوقان، 2017، ص161).

يقول الشاعر: إنَّ هذه الشخصية لن يبعده يوما حتى ولو كان المرض أبعد الأشياء عنه ، يعني أن هذا الشخص لن يترك أو يبعد عن الحب ؛لأنه وقع في حب راقصة ، فأراد أن يرسم لها صورة واقعية وذهنية في نفسه عن صديقه مصطفى فروخ. والشاهد في هذا البيت في الشطر الثاني (كان من الأسقام أعداها) حيث تقدم خبر كان شبه جملة وجوباً ؛ لأن اسمها نكرة وهذا ما قال به النحاة. ويمثِّله قوله أيضا:

طيرُ الصَّبا ولّى وكان لي جار

(طوقان، 2017، ص165)

يتحدث الشاعر هنا على أنه دخل الشيخوخة ، حيث وصل عمره الستين أو السبعين، ولكن غير ذلك الشعور الخاص لي يكذبه الواقع، حيث ذهب إلى أنه ما زال شاباً بدليل أنه ذهب إلى القدس وأتى من الأعمال ما يدل على خلاف هذا الشعر. والشاهد في البيت الشطر الثاني منه (وكان لي جار) فقدّم الخبر وهو شبه جملة (لي) الجار والمجرور على اسم الناسخ وهو الاسم النكرة (جار) وهذا من مواضع وجوب تقدم الخبر على الاسم ؛لأن الخبر شبه جملة والاسم نكرة.

المبحث الثاني ـ التقديم والتأخير في باب إنّ وأخواتها.

المطلب الأول ـ وجوب تأخير خبر إنّ عن اسمها:

وجوب تأخير خبر إن عن اسمها : يجب تأخير الخبر على الاسم إذا كان الخبر مفرداً، أو جملة اسمية، أو جملة فعلية، ومراعاة الرتبة الأصلية بين اسم (إنّ) وخبرها

(الأنباري، 1957، 149/1).

دوّن النحاة في تتبعهم لنظام تكوين جمل هذه الحروف الناسخة وحكماً يتطرقون إليه في مختلف الأبواب النحوية ، وهو حكم الترتيب بين أجزاء الجملة ومكوناتها، فقالوا: " يلزم هنا تقديم الناسخ ثمّ يأتي اسمه ويليهما الخبر، ولا يجوز تقديم الخبر على الاسم وهذا بخلاف ما لاحظوه في النواسخ الفعلية، حيث يجوز فيها تقديم خبرها على اسمها، وللنحاة تعليل لهذا الترتيب الملزم في جملة (إنّ) وأخواتها يقول فيه السر الذي من أجله تحاشى العرب أن يقدّموا أخبار هذه الأحرف على أسمائها، هو أنهم قصدوا أن يدلوا على فروع في العمل، وعلى أنها ليست أفعالاً على الحقيقة" (ابن هشام،2000، 319/1)، أي يلزم تقديم الاسم وتأخير الخبر في باب (إنّ وأخواتها) وهو على النحو الآتي:

إذا كان الخبر مفرداً ويمثِّله من الديوان قوله:

إن البلاد كريمة يا ليتها ضنت على من عقّها بالمدفن

(طوقان: 2017، ص22)

يوضـــح الشاعر في هذا البيت أن البلاد أو الوطن غالية ونفيسة ، ويتمنى لو أنها بخلت عليه حتى بمكان لدفنه فيها، يعني أنه يحبها حتى إنه يريد أن يدفن فيها، لكنها لم تسمح له بذلك.

نلاحظ الشاهد جاء في الشطر الأول (إن البلاد كريمة يا ليتها) إنّ أداة توكيد ونصب تفيد توكيد نسبة الخبر للمبتدأ ، وكسرت همزتها لأنها وقعت في الابتداء و (البلاد) اسمها منصوب بالفتحة و(كريمة) خبرها مرفوع حيث جاء هذا التركيب على الأصل الناسخ ثم اسمه ثم خبره. وقال في موضع آخر أيضا:

بضجيج كأنه زجل الرعـ ـد ورجف تخاله زلزالاً

(طوقان، 2017، ص15)

يصف الشاعر غضب أهل الشام ضد الاستعمار الفرنسي والتمرد عليه ، كأنه الرعد الذي في صوته قوة وخوف حتى ظن أكثرهم بأنه زلزالاً يضرب المنطقة ، وهذا يدل على المرحلة التي وصل إليها أهل الشام في تحرير أرضهم ، ونلاحظ قوله: (بضجيج كأنه زجل الرعد) جملة مكونة من (كأنّ) وهي حرف ناسخ يفيد التشبيه

والضمير (الهاء) المتصل اسم كأن، و(الزجل) خبرها ؛ لأنّ (كأنّ) غيرت معنى الابتداء وأفادت التشبيه (الأنباري، 1957، ص151). ، وأمّا إذا كان خبر (إنّ) أو إحدى أخواتها، جملة فعلية فيجب تأخيره عن اسمها ويمثِّلها من الديوان قوله:

الشمس ما الشمس، إن الشمس تتكشف البدر ما البدر، إن البدر ينخسف

(طوقان: 2017، ص330)

يذكر الشاعر في هذا البيت أن الشمس والبدر من أجمل آيات الله في خلقه ، وهما يدلان على قدرة الله وصنعه في هذه الدنيا ، ويوضح أنَّ الشمس يمكن أنْ تتكشف إي تظهر عيوبها عند المقارنة وكذلك البدر ليس كما يعتقد الناس فهو ليس دقيقاً في وصف جماله.

نلاحظ أن هذا البيت مكوَّن من جملتين اشتملت كل جملة على حرف ناسخ وهو (إنّ) حيث جاء في صدر البيت (إن الشمس تتكشف) وفي عجزه (إن البدر ينخسف) حيث اشتملت على ناسخ (إنّ) واسمهما (الشمس، البدر) وخبرهما جملة فعلية (تتكشف، ينخسف) في محل رفع خبر. وقال في موضع آخر:

ولعل أشواقي بلغن بي المدى فوقعت لا أصحو على شفتيها

(طوقان، 2017، ص70)

يصور الشاعر في هذا البيت حالة من العشق الجميل لأنه يأمل أن تصل أشواقه إلى الحبيب ، وإذا حدث ذلك فإنه سيبقى في حالة من النشوة أو الحلم ولا يصحو من هذه الحالة إلا على شفة الحبيب.

والشاهد في هذا البيت جاء في صدره (ولعل أشواقي بلغن) جملة اسمية مكوّنة من (لعلّ) وهي حرف ناسخ تفيد الترجي (وأشواقي) اسمها والياء مضاف إليه وبلغن فعل ماض مبني في محل رفع الحرف الناسخ ، وهذا ما قرره النحاة من عدم تقديم الخبر جملة فعلية على اسمها.

المطلب الثاني ــ جواز تقديم خبرها عن اسمها:

يجوز تقديم الخبر على الاسم إذا كان ظرفاً، أو جاراً أو مجروراً، وكان المبتدأ معرفة، ذكر ابن مالك أنه لا يجوز أنْ يقدم الخبر على الاسم إلا إذا كان ظرفاً أو عديله وهو الجار والمجرور نحو: إنّ عندك عمراً، وإنّ في الدار زيداً (ابن مالك، 1977، 221/1)

ويمثِّله قوله من الديوان:

وكأنني ضللت سير منيتي إن الطريق إلى الفناء معبّد

(طوقان، 2017، ص 47)

بيّـن الشاعر في هذا البيت أنه يشعر أنه ضل طريقه الذي يقوده إلى تحقيق أمنيته، ولكنه يدرك أن الطريق إلى الموت ممهد وميسر أي أن الموتى قريب ومحتوم فلا فائدة من التمني أو الحزن

ونلاحظ أنَّ البيت المذكور مكوّن من جملتين منسوختين ، تمثَّلت الأولى في قوله (وكأنني ضللت سير منيتي) فـ (كأنّ) أداة نصب و (الياء) اسم كأنّ ، وضللت خبرها، وتمثَّلت في الشطر الثاني (إنّ الطريق في الفناء معبّد) قد وقع اسم إنّ (الطريق) معرّف بالألف واللام و وجاء الخبر شبه جملة (في الفناء معبّد) وفي هذه الحالة يجوز تقديم الخبر وتأخيره ؛ لأن الاسم معرفة والخبر شبه جملة وهذا ما اتفق عليه النحاة قديماً وحديثاً. وقال في موضع آخر:

إن المظفر من حديد جسمه فيما أرى، وجسومهم من سكر

(طوقان، 2017، ص 215)

يصف الشاعر الشـيخ المظفر أمّا جسمه قوي يمكن الحديد حسب رأيه أي يجعل الأعداء يسلمون من السكر، أي الغفلة أو الهزيمة يعني أنه قوي بحيث يجعل الأعداء يسلمون من دون أن يصاب بأذى.

والشاهد في البيت صدره (إن المظفر من حديد جسمه) فـ (إنّ) أداة توكيد ونصب مكسورة الهمزة لأنها وقعت في بداية الكلام و(المظفر) اسم إنّ منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره وهو معرف بالألف واللام وقد تقدم هنا على خبر شبه الجملة (من حديد جسمه) وهذا جائز ومما سبق نلاحظ أن الاسم إذا جاء معرفة سواء كان معرفا بـ أل أو بالإضافة، أو كان خبراً، أو غير ذلك من أنواع المعارف، وجاء الخبر شبه جملة، سواء كانت مكونة من الجار والمجرور، أو الظرف وما أضيف إليه فإنه يجوز تقديم الخبر وتأخيره.

المطلب الثالث ــ وجوب تقديم خبر إنّ عن اسمها.

يتقدّم الخبر على المبتدأ وجوباً إذا كان شبه جملة، والمبتدأ نكرة محضة أي غير مختصة بصفة أو غيرها (ابن هشام، 2000، 210/1)، واسم هذه الحروف بمنزلة المبتدأ يقول

سيبويه:" ومن ما يكون بمنزلة الابتداء قولك... ليت زيداً منطلق لأنّ هذا يحتاج إلى ما بعده (سيبويه، 2004، 23/1).

كما أنّ الاسم والخبر في باب (إنّ) وأخواتها يعدان مبتدأ وخبر في الأصل، أي قبل دخول الحرف الناسخ، فيجب تأخير الاسم إذا كان نكرة محضة، وتقديم الخبر إذا كان شبه جملة، ويمثله من الديوان قولـــــه:

ولكنّ فيك مصائباً ونوائباً

(طوقان، 2007، ص131)

يصف الشاعر في هذا البيت الاضطرابات الدامية التي حدثت بين العرب واليهود سنة 1929 دفاعا عن الحرم القدسي ، حيث قتل منها عدد من اليهود فقامت السلطات البريطانية بالقبض على بعض من الشبان الفلسطينيين وصدرت أحكام قاسية وغريبة ضدهم.

الشاهد في قوله: (لكنّ فيك مصائباً) فـ (لكنّ) حرف ناسخ يفيد الاستدراك و(فيك) شبه جملة مكون من جار ومجرور في محل رفع خبر (لكنّ) مقدم وجوباً (مصائباً) اسم (لكنّ) منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، وقد تأخر وجوباً ؛لأنه نكرة محضة وجاء الخبر شبه جملة وقوله:

ليت لي من جماعة السّار قوماً يتفانون في خلاص البلاد

(طوقان، 2017، ص213).

يتمنى الشاعر في هذا البيت لو كان لديه جماعة من قومه الذين يعملون بجد ويبذلون جهداً في سبيل إنقاذ بلادهم وتحريرها من أذناب الاستعمار الجاثم فوق أرضهم. والشاهد في هذا البيت (ليت لي جماعة السّار قوماً) فـ (ليت) حرف ناسخ يفيد التمني و(لي) شبه جملة مكون من الجار والمجرور في محل رفع خبر (ليت) مقدم وجوباً وتأخر الاسم وهو الاسم النكرة (قوماً) ولمّا كان الاسم نكرة محضة، والخبر شبه جملة تقدم على الاسم وجوباً.

الخاتمة:

من خلال دراسة التقديم والتأخير في ديوان إبراهيم طوقان دراسة نحوية دلالية يمكن أن نصل إلى نتائج عدّة من أهمها:

إن موضوع التقديم والتأخير من الموضوعات التي تناولها الدارسون بالعرض والتحليل ، وذلك للوقوف على مدى قدرة اللغة العربية في الخروج على المألوف الذي

جاء في تراكيبهم، ولكن هذا الخروج على المعهود لم يكن ضرباً من العشوائية إنّما كان له مبرراته وكانت له دواع اقتضاها التعبير أو المقام، وتعد هذه الظاهرة من الظواهر البارزة والمميزة في ديوان إبراهيم طوقان

ـ الأصل في الجملة الاسمية أن يتقدم المبتدأ على الخبر، ولكن قد يخالف هذا الأصل، فيتقدم الخبر على المبتدأ لأغراض يقتضيها المعنى واهتمام السامع.

ـ التقديم والتأخير سواء كان واجباً أم جائزاً هو من أسرار جمال اللغة وحسنها ، فهو محل الإبداع اللغوي ناهيك عن الحالة النفسية للشاعر وهو يعطي تشابكاً بين والمعنى والإيقاع الموسيقي في تلاحم وتماسك النص.

بيان تضارب المصالـــح:

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة

المصادر والمراجع:

1ـ أسرار العربية للأنباري، تحقيق: محمد بهجة البيطار، مطبعة الترقي دمشق 1957.

2ـ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام، تحقيق: بركات يوسف هنود، دار الفكر بيروت 2000

3ـ الخصائص لابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية بيروت.

4ـ الخليل معجم مصطلحات النحو العربي، جورج متري، وهاني جورج.

5ـ ديوان إبراهيم طوقان، مؤسسة هنداوي 2017.

6ـ شرح الأشموني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، ط1 1955.

7ـ شرح التسهيل لابن مالك، تحقيق: عبد الرحمن السيد محمد بدوي، دار هجر ط1 1990.

8ـ شرح التصريح على التوضيح للأزهري، دار إحياء الكتب العربية.

9ـ شرح المفصل لابن يعيش، عالم الكتب بيروت.

10ـ الكتاب لسيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي ط4 2004.

11ـ لسان العرب لابن منظور، دار صادر بيروت 1990.

12ـ المقرب لابن عصفور، تحقيق: علي محمد فاخر، ط1 1990.

13ـ نظرية اللغة في النقد العربي عبد الحكيم راضي، مكتبة الخانجي القاهرة 1980.

14ـ همع الهوامع للسيوطي، تحقيق: عبد العال سالم مكرم عالم الكتب القاهرة 2001.